تقرير أولي حول نتائج حفريات الموسمين الأول والثاني (١٩٨١ - ١٩٨٢) في تل سفينة نوح

ماجد الموصلي

يقع تل سفينة نوح جنوب قرية الحميدية (قديما كفر موسى) وهو يبعد عن تل النبي مندو (قادش) مسافة مباشرة تقدر بحوالي ٥,٥ كم. لاتفصل تل سفينة نوح عن المجرى الحالي لنهر العاصي (قبل دخوله بحيرة قطينة) سوى مسافة تزيد قليلاً عن ١ كم.

اهتم علماء الآثار بتل سفينة نوح اهتماماً ملحوظاً فقد لفت أنظار مشاهديه دائماً شكله (الصورة رقم ١) ووضوح مسار الخندق المحاذي له من جهاته الأربع (الصورة رقم ٢) وقربه من الموقع الشهير «قادش».

وصف أ. جيركو (A.Jirku) تل سفينة نوح بأنه تل طبيعي وأنه لم يعثر على سطحه على أية كسرة فخارية يستدل منها على أن التل كان مأهولاً خلال العصور الشرقية القديمة.

جاء ذلك في بحث نشر له في مجلة (ZDMG)[١]. خلف جيركو في تقديم دراسة وصفية طوبوغرافية لتل سفينة نوح آرنولف كوشكي (A.Kuschke) الذي ذكر في بحثه[٢] أنه كان قد اعتقد بعد مرور عشرين عاما على صدور دراسة جيركو أن تل سفينة نوح ماهو إلا أحد المعسكرات التي أقامها الرومان في المنطقة[٣] ودحض كوشكي هذا الرأي وقدم رأيه الذي يتلخص بأنه اعتماداً، على المصادر المصرية التي أوردت وصفاً لمعركة قادش، فقد اختبأ الحثيون قبل بدء المعركة وراء قادش القديمة (Qdstisj) ونظراً لأن تل سفينة نوح هو التل الكبير والوحيد الذي يقع مباشرة شرق نهر العاصي فقد حدد كوشكي على هذا الأساس موضع قادش القديمة في نفس تل سفينة نوح، ودعم فرضيته تلك بتأريخ بعض الكسر الفخارية التي جمعها من سطح التل المذكور في فترة عصر البرونز الوسيط الثاني، كما ذكر أن تل سفينة نوح كان مأهولاً أيضاً في فترة عصر البرونز الحديث الثاني[٤].

تطرقت دراسات أخرى إلى البحث في طوبوغرافية تل سفينة نوح، وأبرزت تلك الدراسات عنصر الشكل الدفاعي للتل (الصورة رقم ٢)، وأنه بالمقارنه بين الأشكال الدفاعية لتلال قطنا (المشرفة) وحزّور وتل الصور فقد أرخت تلك التحصينات الدفاعية التي منها تل سفينة نوح في الألف الثانية ق.م[٥]، يقترب شكل تل سفينة نوح من شكل المستطيل (المخطط ١).

يبلغ طوله عند أبعد نقطتين حوالي (٤٧٠) م ، كما ويبلغ عرضه عند أبعد نقطتين حوالي (٣٩٠) م يرتفع عند زاويته الجنوبيه الشرقية عن النقطة الدنيا في الخندق المحاذي له حوالي (٩) م ومصدر هذه الأرقام لطول وعرض التل هو المخطط المساحي لتل سفينة نوح الذي حصلنا عليه من إدارة المساحة بحمص (المخطط ١) وتخالف تلك الأرقام أرقام قياسات التل عند كوشكي[٦].

يلاحظ في وسط التل أي ضمن مساره الطولي وجود منخفض يبدأ عند وسط الطرف الشرقي للتل وينتهي عند وسط الطرف الغربي منه ، ويفترض من وجود ذلك المنخفض أن طريقاً رئيسية كانت تخترق التل ضمن مساره الطولي وهي توصل بين بوابتين للمدينة تقع إحداها في الجهة الشرقية من التل وتقع الأخرى في الجهة الغربية منه . أما الكتلة العالية التي تقع في وسط الجهة الجنوبية من التل فإنني اعتقد أنها هي إكروبول تل سفينة نوح.

جرت التنقيبات الأثرية بإشراف كاتب التقرير وبإشتراك عدد من موظفي دائرة آثار حمص، وقد نفذت تلك التنقيبات خلال موسمين استمر الموسم الأول من ١٩٨١/١٠/٢٢ ولغاية ١٩٨١/١١/١٣ واستمر الموسم الثاني من ١٩٨٢/٧/١٤ ولغاية ١٩٨٢/٧/٣٠ .

وقد اخترنا لتنفيذ التنقيبات قطاعين: الأول أكروبول التل، حيث أجرينا الحفريات في السبرين رقم (١) و (٣) (المخطط ١) والثاني وسط الجهة الغربية من التل حيث حفرنا في السبر رقم (٢) (المخطط ١) . بلغت أبعاد السبر ١ (١٠ × ٦ م) والسبر ٢ (٣,٥ × ١,٥م) والسبر ٣ (٢ × ٢ م).

كشفت الحفريات في الأسبار الثلاثة عن وجود سويتين سكنيتين تعود السوية الأولى إلى الدور الحديدي الثاني وقد دعيناها بالسوية (I) وتعود السوية الثانية إلى الدور البرونزي الحديث الثاني وقد دعيناها بالسوية (II).

السوية I (الدور الحديدي الثاني):

اظهرت الحفريات في السبر رقم ١ وجود طبقة مشوشة ، خلت من أية معالم معمارية . وقد تراوحت سماكتها ابتداء من سطح الأرض الحالية بين ٤٥ و ٩٠ سم . تتألف تلك الطبقة من أنقاض ركام أحجار اللبن ومن الصفوة عند نهايتها السفلية ، وعثرنا ضمن الصفوة على عدد قليل من الكسر الفخارية ، من تلك الكسر أنواع الفخار الرديء المدهون باللون الأحمر الغامق والذي تخلو سطوحه من الأشكال الزخرفية (الشكل ١/١) وعندما أردنا تأريخ تلك الطبقة بشكل دقيق وجدنا صعوبة في ذلك ويعود السبب الرئيسي إلى ندرة الكسر الفخارية المكتشفة في تلك الطبقة ، لكن عثورنا على عدد كبير من الكسر الفخارية المشابهة في أنواعها ضمن الطبقة السطحية في السبر رقم سهل علينا تأريخ الطبقة الأولى في كل من السبرين رقم ١ و ٢ وهي مادعيناه بالسوية I . نقترح تأريخ السوية I في الدور الحديدي الثاني ، وقد اعتمدنا في تأريخ تلك السوية على مقارنة الكسر الفخارية المكتشفة مع ماكتشف من فخار الدور الحديدي الثاني في مواقع الدور الحديدي في سورية فمثلا قارن (الشكل ٢/١) مع فخار الدور الحديدي في ابن هانىء[٧].

أما نوع الفخار المتمثل بالكسرة رقم (الشكل ١/٣) فقد ظهر شائعاً في الأناضول وشمال سورية بين ١٢٠٠ و ٧٠٠ ق.م (قارن مع الشكل 11.32 من Tabara El Akrad[8]).

وأما نوع الفخار المدهون باللون الأحمر الغامق والمتمثل بالكسرة رقم (الشكل ١/٤) فقد كان منتشراً في بلاد الشام بين عام ٩٠٠ وعام ٧٠٠ ق.م[9].

يبدو أن النشاط البشري في وسط الجهة الغربية من التل كان إبان الدور الحديدي الثاني أكثر وضوحاً منه في منطقة أكروبول التل (السبر ١) حيث عثرنا في سبر الحفريات ٢ على المداميك السفلى لزاوية التقاء جدارين كما وعثرنا على جزء من تنور (الصورة رقم ٣).

كانت الكسر الفخارية التي عثرنا عليها بجوار التنور لجرار وقصعات وصحاف (الشكل/١ و ٥ و ٦ و ٧).

توقفنا عن متابعة الحفر في السبر ٢ عند الأرضية المسايرة للجدارين وللتنور، وذلك لسبب توقف المشرف على السبر عن متابعة اشتراكه في التنقيب، وإذا أردنا أن نقدم استنتاجاً تقييمياً للسوية I ، نقول ان قطاع وسط الجهة الغربية من التل السبر ٢ كان مأهولاً في الدور الحديدي الثاني أما قطاع أكروبول التل فقد استخدم كموضع لبعض النشاطات البشرية المؤقتة في نفس الدور، وهذا ماأكده الحفر في السبر ٣، حيث أننا أكتشفنا عدداً ضئيلاً من كسر فخار الدور الحديدي الثاني في السوية I لكن تلك السوية خلت هي الأخرى كمثيلتها السوية I (في السبر ١) من المعالم المعمارية. ويبدو استناداً إلى ماأكتشف في الأسبار الثلاثة أنه لم يكن لتل سفينة نوح أهمية خاصة إبان الدور الحديدي الثاني.

السوية II (الدور البرونزي الحديث الثاني):

اكتشفنا في السبر ١ قسم من مبنى ضخم (المخطط ٢)، ظهرت ضمن حدود السبر إحدى غرفه بشكلها الكامل وهي الغرفة ٢، كما واكتشف ضمن حدود السبر قسم من غرفة تمتد بقية أركانها خارج السبر في الإتجاهين الشمالي / الغربي والجنوبي / الشرقي. وقد دعينا ذلك القسم بالغرفة رقم ٣ . يبدو أن قسم المبنى المكتشف في السبر ١ هو لمبنى ضخم تمتد بقية أركانه في جميع الإتجاهات، وبلغت سماكة جداره الممتد شمال/شرق و جنوب/غرب حوالي ٢ م (المخطط ٢) . شيدت جدران المبنى فوق أساس من الأحجار الغشيمة، ويشكل هذا الأساس فقط مدماك واحد بينما شيدت بقية مداميك جميع الجدران بأحجار اللبن (الصورة رقم ٤) . كسيت جدران المبنى بزريقة من الكلس المخلوط مع التربة الناعمة. اكتشفنا أرضية المبنى (عدسة) على عمق حوالي ٢ م ابتداء من السطح الحالي للتل، وقد اكتشفت نفس العدسة وعند نفس العمق في كافة أقسام السبر، وكذلك عند نفس المستوى في السبر رقم ٣ وكشف التنقيب أيضاً ضمن حدود السبر ١ عن بوابة تفضي إلى الغرفة رقم ٢ (الصورة رقم ٤ والمخطط ٢) وعن بوابة أخرى تفضي من الغرفة رقم ٢ إلى الغرفة رقم ٣ وبالعكس. إنهيار المبنى نتيجة تدميره بحريق، وقد وجد فوق أرضيته حطام أحجار اللبن وحطام البذور الخشبية المحروقة.

اللقى :

عثرنا في الزاوية الجنوبية من الغرفة رقم ٢ على جرة من نوع (Pithos) (الصورة رقم ٥) ، ومثل هذا النوع من جرار التخزين معروف من بعض المواقع الأثرية في فلسطين، فقد ظهر نفس النوع في سويات البرونز الوسيط الثاني والبرونز الحديث. مثل تلك الجرار معروف أيضاً من تل الصالحية[١٠] حيث عثر عليه في السوية XI التي تم تاريخها في القرن الخامس عشر ق.م . عثر في نفس الغرفة على قدر يتصف بأن قعره مدبب وهو مصنوع من الفخار البني الغامق . كما وجدت إلى جانب القدر كسر لمصفاة (الشكل ٩/٢) وهي مصنوعة من التربة ذات اللون البني الفاتح ، وقد أمكن مقارنتها مع نفس النوع المكتشف في حماه (السوية G)[١١] . كانت اللقى المعدنية قليلة، وتمثلت بإسواره برونزية (الشكل ١٨/٣) ، عثرنا عليها عند المدخل الشمالي للغرفة ٢ ، وسهم برونزي (الشكل ١٩/٣) عثرنا عليه في الزاوية الجنوبية / الغربية للغرفة رقم ٢ . لم نعثر في القسم المكتشف من الغرفة رقم ٣ سوى على زر برونزي لثوب وعلى كسر لآنية فخارية لايمكن جمعها إلى آنية كاملة.

يمكننا إرجاع معظم الكسر الفخارية التي عثرنا عليها في السوية II إلى الدور البرونزي الحديث الثاني (الشكل ٩/٢ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤) اكتشف نفس نوع الكسرة (الشكل ١٥/٣) في سوية البرونز الحديث الثاني من موقع مجيدو (LBII)[١٢] . وعلى الرغم من اعتقادنا بصحة تاريخ معظم الكسر الفخارية في الدور البرونزي الحديث الثاني . فقد أعترضتنا مشكلة تاريخ كسر الصحاف والقصعات التي ظهرت أنواعها في كل من دوري البرونز الحديث الثاني والحديدي الأول حيث أرخ نفس نوع الكسرة (الشكل ١٦/٣) في السوية (Hama F) كذلك الحال بالنسبة إلى الكسرة (الشكل ١٧/٣) ، فقد ظهر نفس النوع في الدور الحديدي الأول . وإن ظهور نفس أنواع الصحاف في الدور البرونزي الحديث الثاني في تل الصالحية[١٣] يثبت وجود نماذج مبكرة عن النماذج المتأخرة المعروفة للدور الحديدي الأول من موقع تل بيت مرسيم[١٤] ومن موقع طرسوس[١٥] تشبه تلك النماذج المبكرة (الشكل ١٦/٣ و ١٧) من تل سفينة نوح إلى حد ما النماذج التي ظهرت في السويتين (Hama Get F).

نقترح استناداً إلى نماذج الفخار المكتشف تاريخ المبنى رقم ١ في الدور البرونزي الحديث الثاني، وإن كنّا لانستطيع تقديم تاريخ دقيق له، لكنه يمكننا اقتراح تاريخ تقريبي وهو فترة حكم آتيا كاما امير قادش (حوالي عام ١٣٥٢ ق.م) المعّين من قبل شوبيلو ليوما، أما بالنسبة إلى تدمير المبنى فلربما ارتبط ذلك بمجريات معركة قادش عند حوالي عام ١٣٠٠ ق.م.

- واخيراً وبسبب قلة اللقى وعموميتها لايمكننا تحديد ماهية الوظيفة التي شيد من أجلها المبنى رقم ١، ولكن استناداً إلى ضخامة جدارن المبنى وإلى الطراز والأسلوب الذي شيد وفقه المبنى رقم ١ ، فإننا نميل إلى القول إن القسم المكتشف هو أحد أركان قصر، وأن التوسع في إجراء الحفريات ضمن قطاع أكروبول التل سيكشف عن بقية أركان هذا المبنى الهام.

حواشي البحث

(١) A.Jirku, Die Alten Siedlungen zwischen Libanon und Antilibanon, ZDMG, (1933), pp. 86.

(٢) A. Kuschke, Das Terrain der Schlacht bei Qadeš und die Anmarschwege Ramses II, ZDPV, 95 (1979), pp. 33.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٣٣.

(٤) نفس المصدر السابق، ص٣٣.

(٥) P.Parr, The origin of the Rampart Fortifications, ZDPV, 85 (1969).

(٦) Le Pére M.Tallon, Une Nouvelle Enceinte Antique en Emésène, Les A.A.De Syrie, Tome VI (1965), pp. 59 et Pl. X.
A. Kuschke, Das Terrain der Schlacht, ZDPV, 95 (1979), pp. 33.

(٧) د. عدنان البني ونسيب صليبي وجاك لاغارس، تقرير أولي عن موسم التنقيب الأول (١٩٧٥) في موقع ابن هانىء، الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد ٢٦/١٩٧٦، الشكل ٢٧/٨.

(٨) Tabare El Akrad I, Anatolian Sudies I, pp. 141, Fig. 11,32.

(٩) د. علي أبو عساف، تل عشترة، الموسم الأول ١٩٦٦، الحوليات الأثرية العربية السورية، ص ١٣٦.

(١٠) H.H. von der Osten, Die Grabung von Tell es-Salihiyeh, Lund (1956), pl. 35/84.

(١١) E. Fugmann, Hama (1931-38), Fig. 161/5B 33.

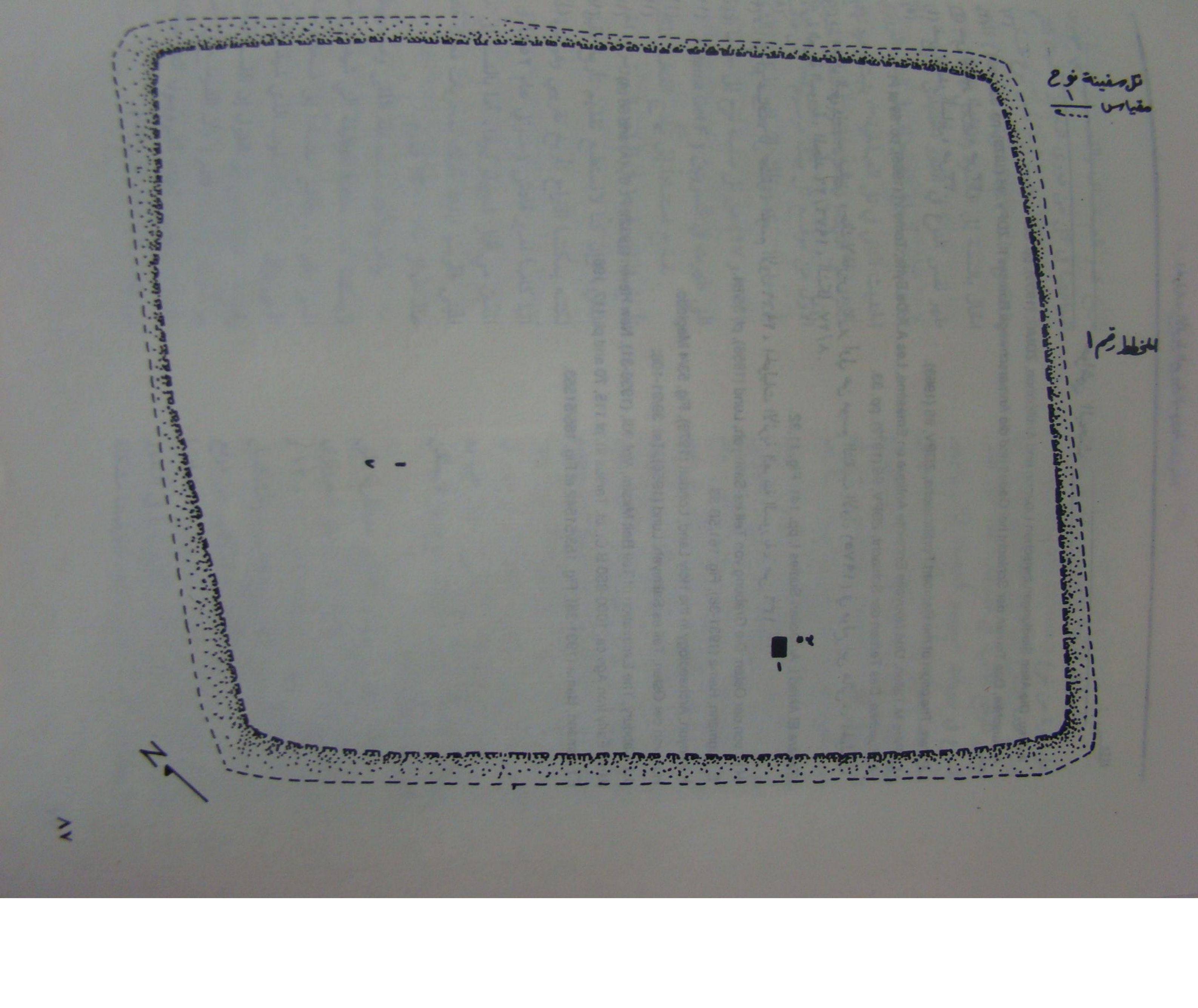
(١٢) K.Kenyon, Archaeology in the Holy Land, London (1979), Fig. 53/4 Megiddo.

(١٣) H.H. von der Osten, Tell es Salihiyeh, Lund (1956), Taf. 39/91-108.

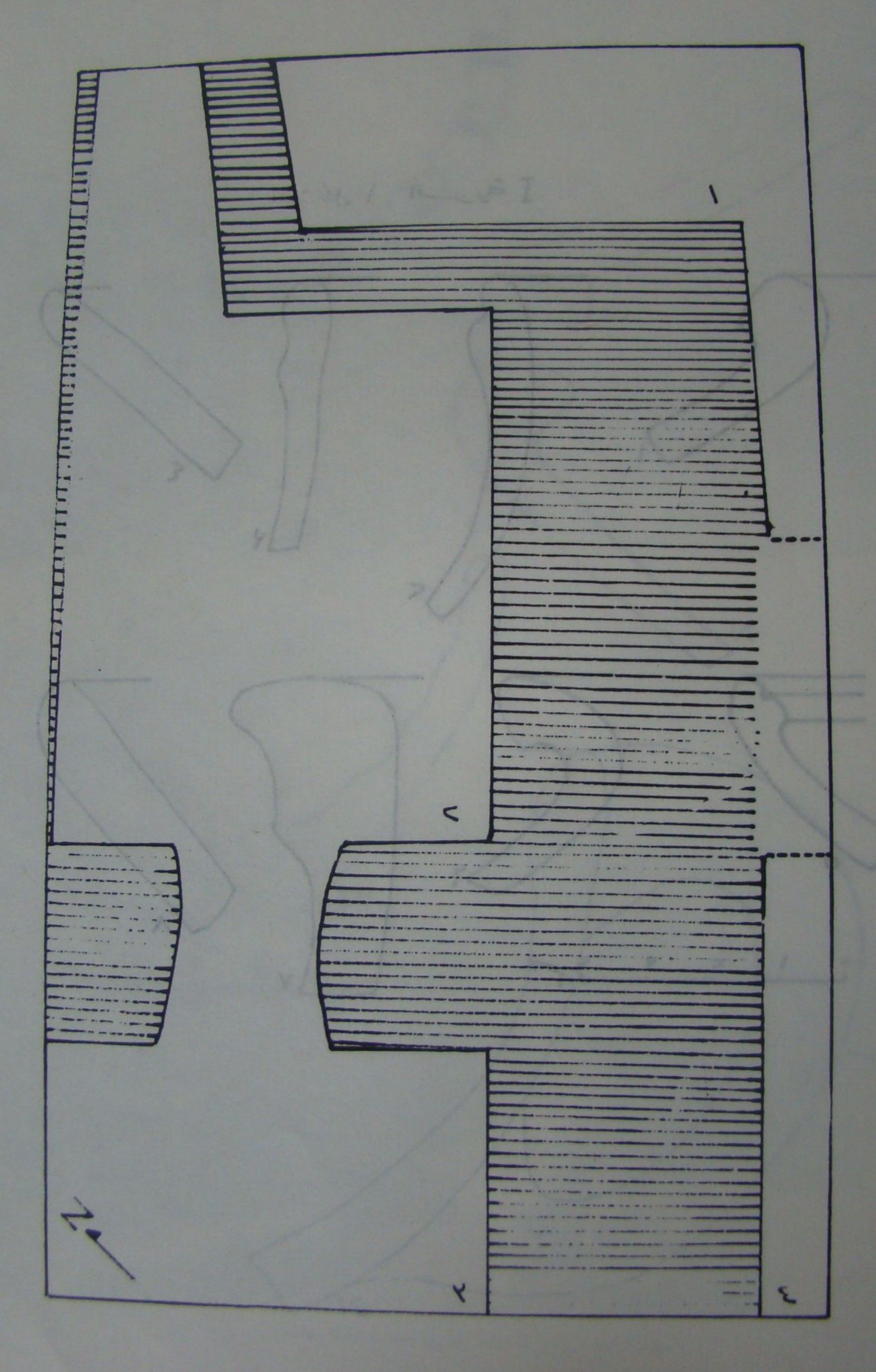
(١٤) J.J. Cabdury, The Excavation of Tell Beit Mirsim, Vol. XII, (1930-31), New Haven (1932), Pl. 6 (A) and 66 (A)

(١٥) Jarse Early Iron Age ca. 1000-850 B.C., cf. Tarsus III, pl 115, 70 and pl. 117, 196.

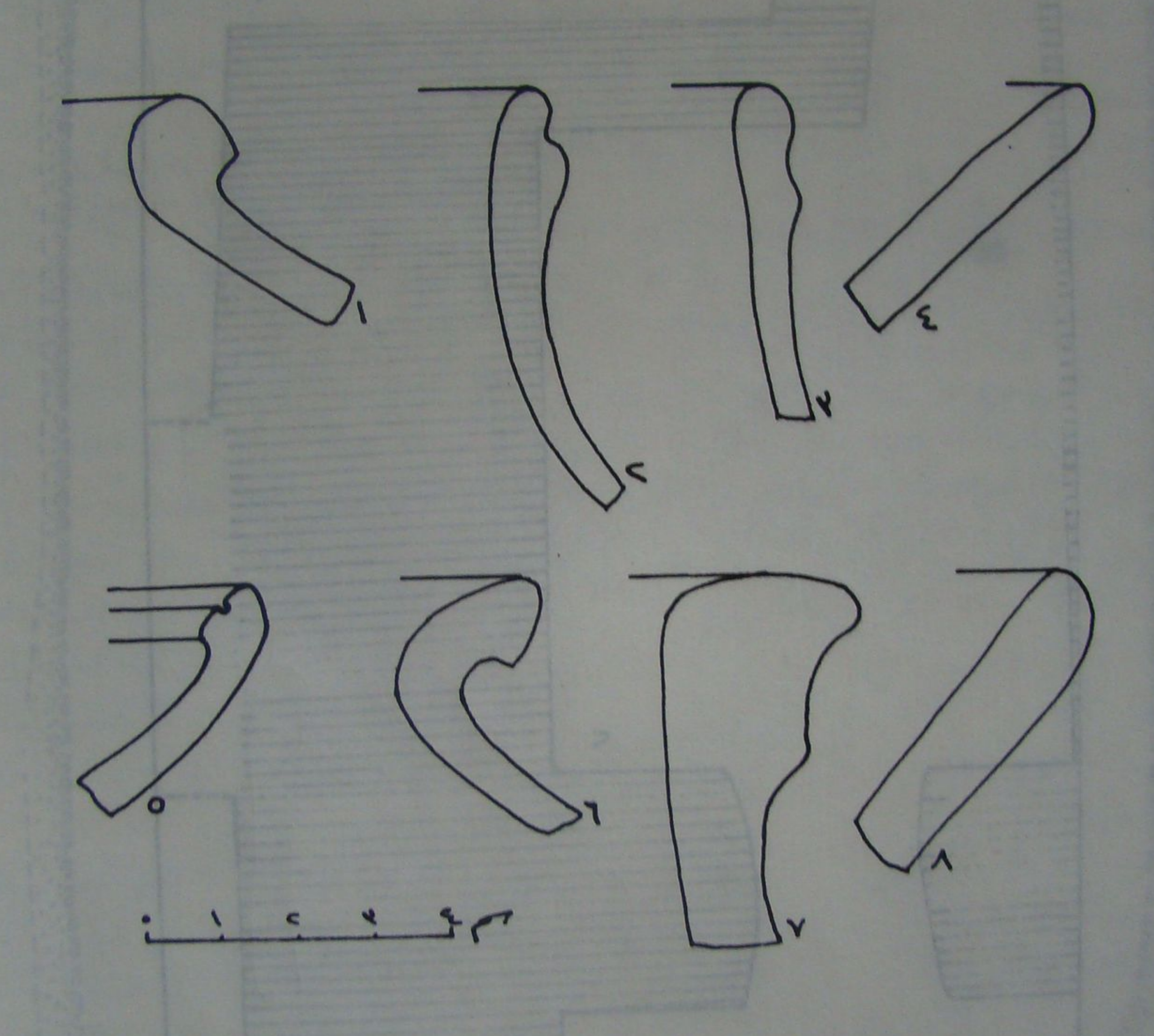
(١٦) E.Fugmann, Hama (1931-38), Fig. 153/51542 et Fig. 165/51553.


تل سفينة نوح
مقياس ١/٢٠٠٠
المخطط رقم ١

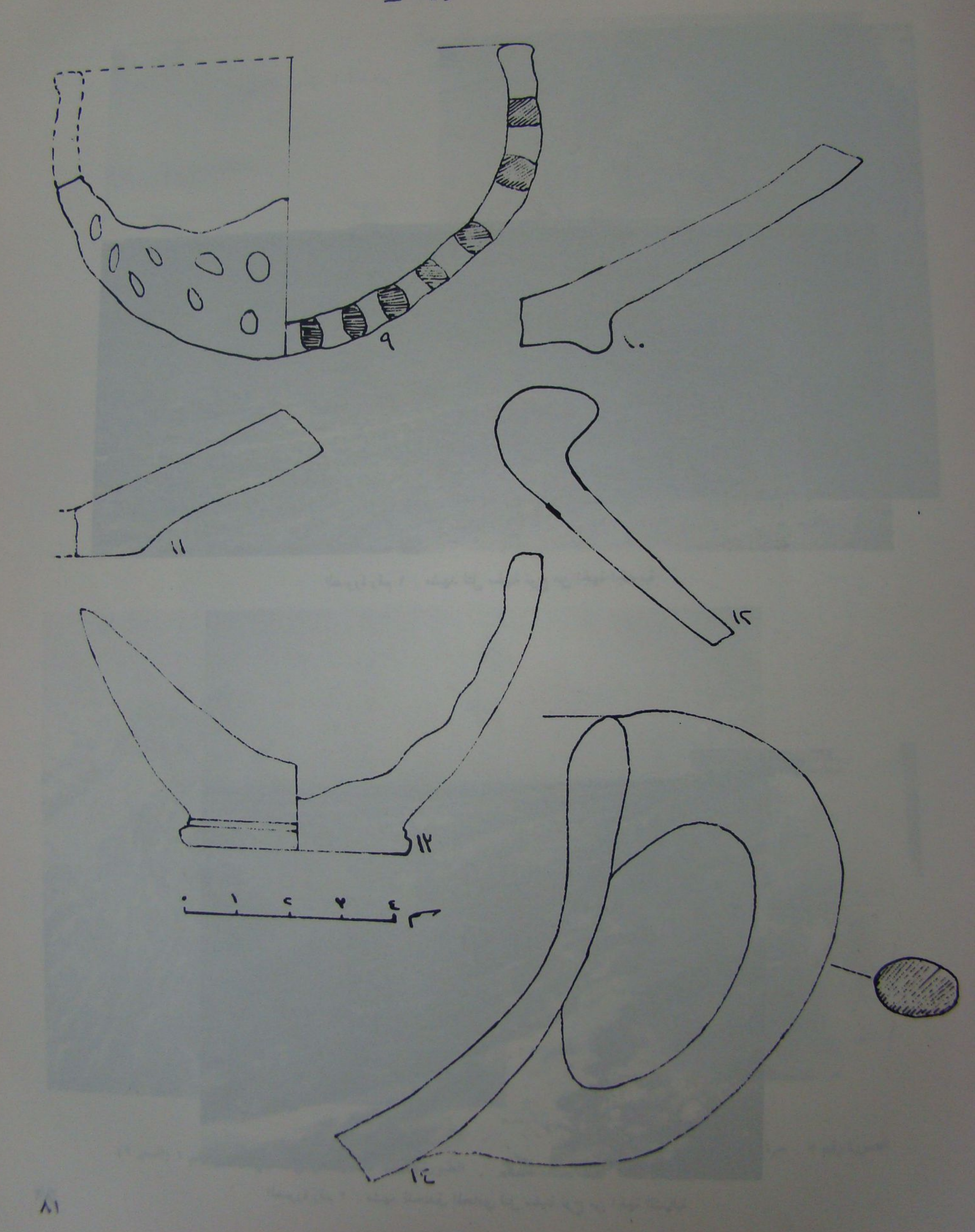
تل سـ زينة مزر . المخزن رقم ٢ . المربع رقم ١



الشكل ١ السوية I



الشكل ٢ السوية II





الصورة رقم ١ : مشهد لتل سفينة نوح من الجهة الجنوبية



الصورة رقم ٢ مشهد للخندق المحاذي لتل سفينة نوح من الجهة الشمالية



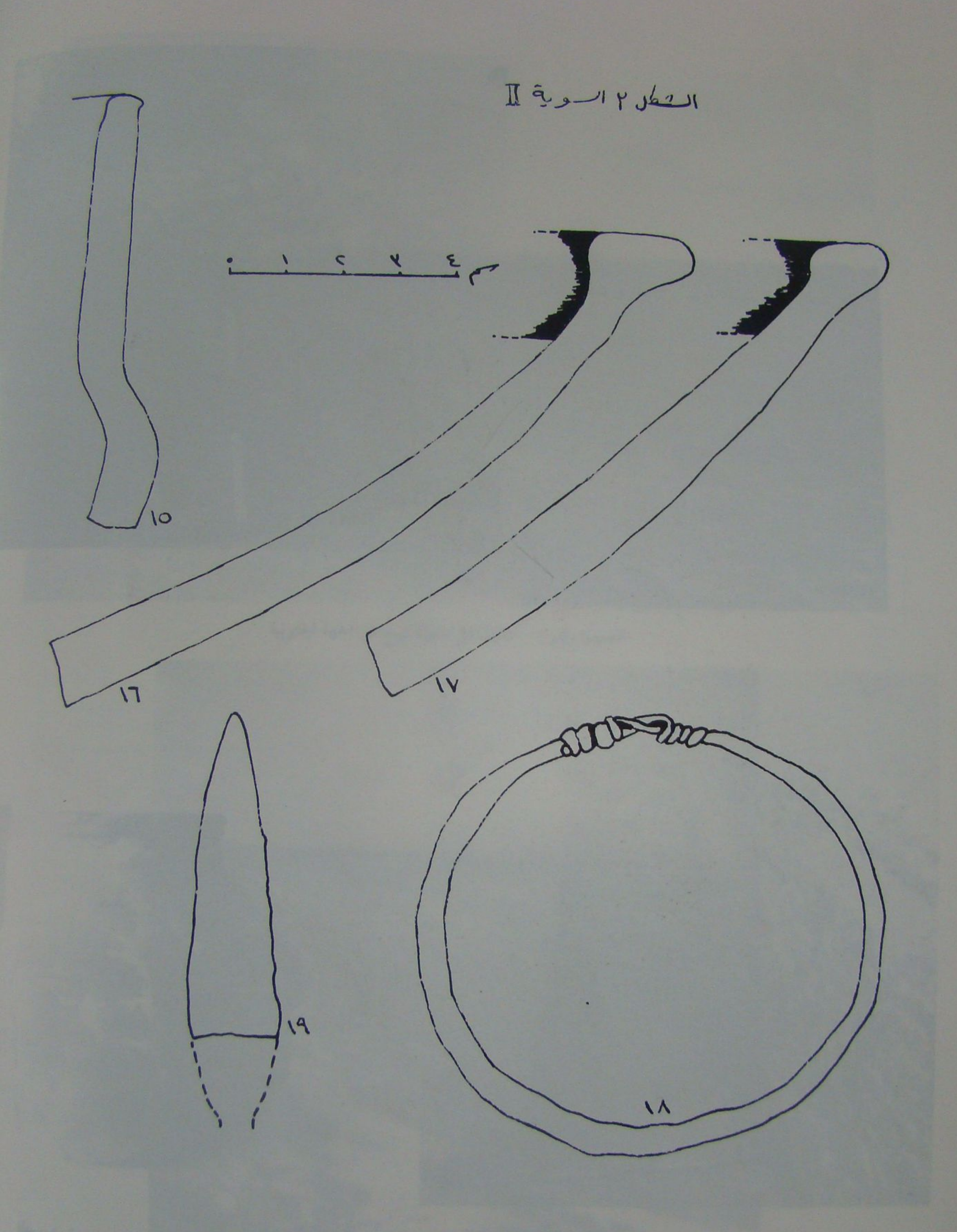
الصورة رقم ٣ : سوية الحديد الثاني (السبر ٢)



الصورة رقم ٤ : مشهد الركن الشمالي للمبنى رقم ١ (السبر ١)



الصورة رقم ٥ : جرة من نوع Pithos السوية II


السطح ٢ السوية II
٠ ١ ٢ ٣ ٤ سم
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩



الشكل ٤ ـ جرة بعد ترميمها